جهود الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تجديد علم التفسير وتقصيده

بقلم
أ. محمد الصالح غريسي (*)

ملخص

يأتي هذا المقال ليوضح نظرة ابن عاشور التجديدية لمسائل في أصول التفسير وعلوم القرآن منها استشكاله عد التفسير علما، ومسائل التفسير العلمي للقرآن الكريم، وقوله باتساع دائرة المعاني في القرآن الكريم، ثم عرجنا على أسباب تأخر علم التفسير عند ابن عاشور وما اقترحه من إصلاحات للنهوض بالتفسير وتحقيق أهدافه ومقاصده.

الكلمات المفتاحية:

الجهود؛ التفسير؛ ابن عاشور؛ التجديد؛ المقاصد.

مقدمة:

قرر العلماء في كتبهم ورسائلهم أن التفسير من أهم العلوم الإسلامية باعتبار تعلقه بكتاب الله تعالى من حيث الإيضاح والاستنباط والتدبر فيه؛ فشرف العلم بشرف المعلوم؛ إلا أنه بمرور القرون والسنين دب إلى علم التفسير الضعف؛ أدت إلى تأخره؛

* قسم الحضارة الإسلامية– معهد العلوم الإسلامية– جامعة الوادي.
gmedsalah@gmail.com

فتصدى المفسرون السابقون واللاحقون إلى الدفاع عن علم التفسير ببيان شرفه ووجه الحاجة إليه وأسباب تأخره، واقتراح حلول لتجديده وإصلاحه والنهوض به.

ومن علمائنا الأجلاء الذين اهتموا بإصلاح التعليم في العالم العربي إمام الفقه وأصوله والتفسير وعلومه والمجدد والمصلح الشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي الذي اهتم بتجديد كل العلوم الإسلامية بما فيها الفقه وأصوله وعلم الكلام وعلم الحديث، إلا أني سأسلط الضوء على ملامح من تجديد علم التفسير عند ابن عاشور.

فما هي أسباب تأخر علم التفسير عند ابن عاشور؟ وما هي الحلول التي اقترحها للنهوض بهذا العلم وتجديده؟

ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق المقاصد الآتية:

_ تشخيص أسباب تأخر علم التفسير من وجهة نظر علم من أعلام الأمة المعاصرين.

_ بيان أهم العوامل والمرتكزات التي تؤدي إلى إصلاح علم التفسير من خلال ما اقترحه شيخ المفسرين في العصر الحديث.

الدراسات السابقة حول الموضوع:

وقفت على دراسة جامعية في جامعة الزيتونة بتونس بعنوان: التجديد في التفسير من خلال التحرير والتنوير للباحث جمال الديماسي وهي رسالة دكتوراه في المعهد العالي لأصول الدين بتونس سنة 1994م؛ إلا أنها غير متاحة في الشبكة العنكبوتية.

ومما وجدته حول الموضوع من دراسات سابقة مقال بعنوان: إشكال علم التفسير من خلال مقدمات تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور/محمد

اليوسفي/مكناس/المغرب. شارك به صاحبه في ملتقى التجديد في التفسير عُقد في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، في جامعة أدرار في الجمهورية الجزائرية الملتقى الدولي الخامس عشر تحت عنوان التجديد في حركة التفسير المعاصرة-الأصول، المناهج، الثمرات، أيام (14-16/06/1435هـ) الموافق (14-16/04/2014م).

_ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مؤتمر دولي أقيم في الرباط _ المملكة المغربية، 9_8 جمادى الأولى 1430هـ/3_2 مايو 2009م.

خطة البحث:

مقدمة بينت فيها أهداف الموضوع والدراسات السابقة وإشكاليته وخطته.

تمهيد للموضوع:

أولا: مفهوم علم التفسير عند ابن عاشور

ثانيا: استشكال ابن عاشور عد التفسير علما؛ ثم التماسه ستة أوجه في اعتبار التفسير علما.

ثالثا: أسباب تأخر علم التفسير عند ابن عاشور.

رابعا: وجوه إصلاح التفسير والنهوض به عند ابن عاشور.

خامسا: مظاهر عناية ابن عاشور بتقصيد التفسير أصول التفسير وعلوم القرآن

خاتمة: فيها أهم النتائج

قائمة المصادر والمراجع

وفي الأخير أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما.

تمهيد للموضوع:

اقترح الشيخ الطاهر ابن عاشور منهجًا لإصلاح التفسير، ودشّن معالمه في كتابه أليس الصبح بقريب، وطبّقها في دروس تفسيره بجامع الزيتونة، ثم في تفسيره الكبير التحرير والتنوير[1]، ويقول بشأن هذا المنهج: "الذي يجدر أن يؤسّس عليه إصلاح علم التفسير ويكون منخولاً من التفاسير، هو أن تفسّر التراكيب القرآنية جريًا على تبيين معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية، ثم أخذ المعاني من دلالات الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة، ثم استخلاص المعاني المدلولة منها بدلالات المطابقة والتضمّن والالتزام، مما يسمح به النظم البليغ ولو تعددت المحامل والاحتمالات، ثم نقل ما يؤثر عند أئمة المفسّرين من السلف والخلف مما ليس مجافيًا للأصول ولا للعربية"[2].

أولا: مفهوم علم التفسير عند ابن عاشور:

اجتهد ابن عاشور في تجديد علم التفسير حتى من خلال المفاهيم والتعريفات؛ فأعطى مفهوما دقيقا لعلم التفسير، وقد تنوعت عباراته في ذلك:

فمرة يعرفه بقوله: "هو شرح مراد الله تعالى من القرآن، وما يوصل إلى ذلك، ويعين عليه أو يحتج به عليه"[3].

ومرة قال في تعريفه: هو" شرح مراد الله تعالى من القرآن ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم دقائق العربية، وليعتاد بممارسة ذلك فهم كلام العرب وأساليبهم من تلقاء نفسه"[4].

وعرفه في مقدمة تفسيره بقوله: "والتفسير في الاصطلاح نقول: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"(5).

الشيء الأساسي عند ابن عاشور في مفهوم التفسير هو بيان مراد الله تعالى في القرآن الكريم، وذلك يتحقق ببيان معاني ألفاظه وتراكيبه وجمله، وقد يكون هذا البيان باختصار أو توسع؛ لذلك نراه في بيانه لطرائق المفسرين في التفسير يجيز المسلكين السابقين؛ بشرط أن تكون المعلومات التي يذكرها المفسر في إطار ما يخدم مقاصد التفسير، ويوضح ذلك بقوله: "فطرائق المفسرين للقرآن ثلاث، إما الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل، وإما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن، وتلك هي مستتبعات التراكيب وهي من خصائص اللغة العربية المبحوث فيها في علم البلاغة ككون التأكيد يدل على إنكار المخاطب أو تردده، وكفحوى الخطاب ودلالة الإشارة واحتمال المجاز مع الحقيقة، وإما أن يجلب المسائل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى، أو لأن زيادة فهم المعنى متوقفة عليها، أو للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم مما له تعلق بمقصد من مقاصد التشريع لزيادة تنبيه إليه، أو لرد مطاعن من يزعم أنه ينافيه لا على أنها مما هو مراد الله من تلك الآية بل لقصد التوسع"(6).

وقد طبق ابن عاشور هذا المسلك في تفسيره من خلال إعراضه عن المعلومات التي ليست من غرض التفسير. من ذلك قوله:" والخلاف في رؤية الله في الآخرة شائع بين طوائف المتكلمين فأثبته جمهور أهل السنة لكثرة ظواهر الأدلة من الكتاب والسنة مع اتفاقهم على أنها رؤية تخالف الرؤية المتعارفة...وأما المعتزلة فقد أحالوا رؤية الله في الآخرة لاستلزامها الانحياز في الجهة. وقد اتفقنا جميعا على التنزيه عن

المقابلة والجهة، كما اتفقنا على جواز الانكشاف العلمي التام للمؤمنين في الآخرة لحقيقة الحق تعالى، وعلى امتناع ارتسام صورة المرئي في العين أو اتصال الشعاع الخارج من العين بالمرئي تعالى لأن أحوال الأبصار في الآخرة غير الأحوال المتعارفة في الدنيا. وقد تكلم أصحابنا بأدلة الجواز وبأدلة الوقوع، وهذا مما يجب الإيمان به مجملا على التحقيق. وأدلة المعتزلة وأجوبتنا عليها مذكورة في كتب الكلام وليست من **غرض التفسير** ومرجعها جميعا إلى إعمال الظاهر أو تأويله"(7).

ومن ذلك قوله: "وقد دلت الآية على انحصار المحرمات من الحيوان في هذه الأربعة، وذلك الانحصار بحسب ما كان محرما يوم نزول هذه الآية، فإنه لم يحرم بمكة غيرها من لحم الحيوان الذي يأكلونه، وهذه السورة مكية كلها على الصحيح، ثم حرم بالمدينة أشياء أخرى، وهي:المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع بآية سورة العقود.وحرم لحم الحمر الإنسية بأمر النبيء صلى الله عليه وسلم على اختلاف بين العلماء في أن تحريمه لذاته كالخنزير، أو لكونها يومئذ حمولة جيش خيبر، وفي أن تحريمه عند القائلين بأنه لذاته مستمر أو منسوخ، والمسألة ليست من غرض التفسير فلا حاجة بنا إلى ما تكلفوه من تأويل حصر هذه الآية المحرمات في الأربعة"(8).

وقوله:"لم يشر القرآن إلى اسم الظهر ولا إلى اسم الأم إلا مراعاة للصيغة المتعارفة بين الناس يومئذ بحيث لا ينتقل الحكم من الظهار إلى صيغة الطلاق إلا إذا تجرد عن تلك الكلمات الثلاث تجردا واضحا.

والصور عديدة وليست الإحاطة بها مفيدة، وذلك من مجال الفتوى **وليس من مهيع التفسير**"(9).

ثانيا: استشكال ابن عاشور عد التفسير علما؛ ثم التماسه ستة أوجه في اعتبار التفسير علما.

يرى ابن عاشور أن لأسباب تأخر علم التفسير أثرا قويا في تأخر كثير من العلوم الإسلامية، خصوصا الفقه واللغة والنحو.

بين ابنُ عاشور أن التفسيرَ ليس علمًا إلاّ على وجه التسامح، وناقش ذلك بمقدمات منطقيةٍ، يقول ابن عاشور في هذا الصدد: "هذا وفي عدّ التفسير علمًا تسامح"[10]، وقال أيضا: "ما كنت أرى التفسير يعدّ علمًا إلاّ لو كان شرح الشعر يعدّ علماً"[11].

ولتأييد هذا الرأي والاحتجاج له يقدّم ابن عاشور تحديداً لمعاني العلم؛ ينهض في جزء مهم منه على التعريف الأرسطي الشائع للعلم الذي تبناه وبنى عليه كثير من النظار الإسلاميين من متكلمين وفلاسفة وأصوليين[12]، فالرأي عنده: "العلم إذا أطلق إما أن يراد به نفس الإدراك، نحو قول أهل المنطق: العلم إمّا تصوّر وإمّا تصديق؛ وإما أن يراد به الملكة المسماة بالعقل؛ وإما أن يراد به التصديق الجازم وهو مقابل الجهل (وهذا غير مراد في عدّ العلوم)؛ وإما أن يراد بالعلم المسائل المعلومات وهي مطلوبات خبرية"[13].

ولمّا كانت المطلوبات الخبرية قضايا كليةً يبرهن عليها في العلم فإن هذا لا ينطبق على التفسير؛ لأن مباحثه[14] "ليست بقضايا يبرهن عليها فما هي بكلية، بل هي تصورات جزئية غالبا؛ لأنه تفسير ألفاظ أو استنباط معان، أما تفسير الألفاظ فهو من قبيل التعريف اللفظي، وأما الاستنباط فمن دلالة الالتزام، وليس ذلك من القضية"[15].

إلاّ أنه مشايعة لما جرى عليه الاصطلاح بين المسلمين بعدّ التفسير علمًا وجعْله في مقدمة العلوم الإسلامية، ونظرا لكونه منبعَ العلوم الشرعية، فإن ابن

عاشور ينظر فيه على هذا الاعتبار خاصة[16] وأن "لأسباب تأخّره أثرا قويًا في تأخّر كثير من العلوم الإسلامية، خصوصا الفقه والنحو واللغة"[17].

ومع ذلك فقد حاول ابن عاشور أن يخرّج القول بكون التفسير علمًا على أوجه ومن هذه الأوجه وجه عقلي منهجي[18]، وهو أن: "حق التفسير أن يشتمل على بيان أصول التشريع وكلياته، فكان بذلك حقيقا بأن يسمى علمًا"[19].

وهناك وجه تاريخي يرى ابن عاشور أنه يمكن أن يكون هو الفيصل في عد التفسير علمًا[20]، وهو: "أن التفسير كان أوّل ما اشتغل به علماء الإسلام قبل الاشتغال بتدوين بقية العلوم، وفيه كثرت مناظراتهم، وكان يحصل من مزاولته والدربة فيه لصاحبه ملكة يدرك بها أساليب القرآن ودقائق نظمه، فكان بذلك مفيدًا علومًا كليةً لها مزيد اختصاص بالقرآن المجيد، فمن أجل ذلك سمي علمًا"[21]. كانت تلك خلاصة مذهب ابن عاشور في هذه المسألة، وما قدمه من أوجه لتخريج ما استقرّ عليه الاصطلاح من عدّ التفسير علما جليلاً كبقية العلوم الأخرى.

لكن هذا الرأي الجديد من ابن عاشور جوبه بالنقد اللاذع من مخالفيه ومعاصريه، ومن ذلك قول الشيخ عثمان بن منصور في رسالته التي كتبها في نقد المقدمات العشر لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

فقال:" من شأن الأستاذ أن لا يحيد عن السبر والتصفية والضبط والاستيعاب ولو فيما يحسن فيه الإغضاء؛ وإلاّ فأي مانع من عدّ التفسير علما بناء على غير الغالب في نظره حيث قال:" هو تصورات جزئية غالبا"، فهذا صريح في أنها قد تكون بخلاف ذلك على أنه لا يسّلم له التسامح في عد التفسير علمًا؛ ولو ألغينا هذا الاعتبار سواء أريد بالعلم الإدراك أو التصديق الجازم أو المسائل المعلومة؛ إذ كل

الصيد في جوف الفراء[22]، ولو أردنا الاستدلال لأجهدنا الإطالة في القشور وأدتنا إلى نبش كتب المنطق والحكمة لنثبت أنه علم أو غير علم، وهل في إطلاقهم وتسميتهم تسامح أو تحقيق ولو فعلنا هذا أو سوّدنا صحفا لإثباته، أو نفيه لأغضبنا الفكر الجديد الذي يبغض التافه من البحوث ... وآخر ما نقوله هنا أن الطبقة العليا من علماء المسلمين سموه علمًا فقولهم أولى بالتقديم على قول الحكماء والمناطقة وأحق بالمراعاة من اصطلاحهم وإثارة الاعتراضات التي لا تخطر إلاّ ببال أصحاب المنطق والمقولات خالية من الفائدة لا سيّما عند مريد الاختصار التارك لأجله كثيرا مما تشتد إليه حاجة طالب التفسير"[23].

وأمّا" عدم اعتباره التفسير علمًا، وعلى الرغم من كونه يعلم تمامًا أنه لم يسبقه أحد لهذا الفهم، وأنه تحصيل حاصل ذهب إليه، وكان الأولى به أن ينخرط في آلاف العلماء من جميع عصور الإسلام الذين اعتبروا التفسير علمًا بل اعتبروه من أجلّ العلوم"[24].

كانت تلك وقفة مع استشكال ابن عاشور عدّ التفسير علمًا، وما قدّمه من أوجه لتخريج ما استقرّ عليه الاصطلاح، وبيّنت أنه لا فائدة من توّسعه في عدّ التفسير علمًا تسامحًا أو تحقيقا؛ وبيّن ابن عاشور أيضًا ما يراه من وظيفةٍ معرفيةٍ وفكريةٍ للتفسير.

ثالثا: أسباب تأخر علم التفسير عند ابن عاشور.

يتميز الإمام ابن عاشور برؤيته النقدية الواضحة المعالم لمختلف مجالات العلوم الإسلامية بحكم تعمقه فيها وممارستها فعليا في التعليم الزيتوني وفي التعليم الأكاديمي؛ فقد أرجع أسباب تأخر علم التفسير إلى الأسباب الآتية:

السبب الأول: الولوع بالتوقيف والنقل؛ اتقاء للغلط الذي عظموا أمره في القرآن

حتى قال: خطؤه كفر زجرا للعامة عن التطرق إليه بدون تأهل لكنها كلمة قدمت حتى توهمها الخاصة أصلا، فأصبح الناس يغتفرون فيه النقل ولو كان ضعيفا أو كاذبا، ويتقون الرأي ولو كان صوابا حقيقيا؛ لأنهم توهموا أن ما خالف النقل عن السابقين إخراج للقرآن عما أراد الله منه على أن أكثر ما صح منه جار مجرى التمثيل بجزئية، أو مجرى الآراء العلمية وكثير منه مكذوب، ومن ولع المفسرين بالتوقيف في التفسير ما ادعوه من أسباب النزول[25].

السبب الثاني: الضعف في اللغة والبلاغة، وقليل المبرز فيهما، وقد قوى ابن عاشور رأيه بنقول قوية عن أيمة الشأن، من ذلك قول الزمخشري: " ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وإن برز علم الأقران في علم الفتاوي والأحكام والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وإن كان من سيبويه واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنها ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله"[26].

السبب الثالث: الضعف في علوم يظنها المفسرون بعيدة عن القرآن، وهي ضرورية لمعرفة عظمته العمرانية، مثل: التاريخ، وفلسفة العمران، والأديان، والسياسة.

قال ابن عاشور:" إن القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم ...فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر.

وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية. وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذا هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع "[27].

السبب الرابع: خروج بعض التفاسير عن ذكر العلوم التي لها تعلق بفهم الآية، إلى مسائل من علوم متنوعة ضعيفة المناسبة بموضوع تفسير تلك الآية.

وقد فصل هذه الجزئية في المقدمة الرابعة من مقدمات تفسيره بقوله:" فطرائق المفسرين للقرآن ثلاث، إما الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل، وإما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن، وتلك هي مستتبعات التراكيب وهي من خصائص اللغة العربية المبحوث فيها في علم البلاغة ككون التأكيد يدل على

إنكار المخاطب أو تردده، وكفحوى الخطاب ودلالة الإشارة واحتمال المجاز مع الحقيقة، وإما أن يجلب المسائل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى، أو لأن زيادة فهم المعنى متوقفة عليها، أو للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم مما له تعلق بمقصد من مقاصد التشريع لزيادة تنبيه إليه، أو لرد مطاعن من يزعم أنه ينافيه لا على أنها مما هو مراد الله من تلك الآية بل لقصد التوسع "[28].

ثم فصل القول في الطريقة الثالثة بقوله:" وفي الطريقة الثالثة تجلب مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد الآية: إما على أن بعضها يومىء إليه معنى الآية ولو بتلويح... وإما على وجه التوفيق بين المعنى القرآني وبين المسائل الصحيحة من العلم حيث يمكن الجمع. وإما على وجه الاستروح من الآية "[29]

ثم ذكر آراء العلماء في الطريقة الثالثة متوصلا إلى أن علاقة العلوم بالقرآن الكريم على أربع مراتب:

الأولى: علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة.

الثانية: علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات.

الثالثة: علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق.

الرابعة: علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي.

رابعا: وجوه إصلاح التفسير والنهوض به عند ابن عاشور

فإذا تقرر ما سبق واتضح وبان فإن الوصف الذي يجدر أن يؤسس عليه إصلاح علم التفسير ويكون منخولا من التفاسير؛ فقد حدده ابن عاشور في النقاط الآتية:

_ تفسير التراكيب القرآنية جريا على تبيين معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية، ثم أخذ المعاني من دلالة الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة، ثم استخلاص المعاني المدلولة منها بدلالات المطابقة، والتضمين والالتزام، مما يسمح به النظم البليغ، ولو تعددت المحامل والاحتمالات.

_ نقل ما يؤثر عن أئمة المفسرين من السلف والخلف مما ليس مجافيا للأصول ولا للعربية.

قال ابن عاشور:" ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما أشاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضر كثير، وهنا لك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما شاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالما بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة، فالحمد لله الذي صدق الأمل، ويسر إلى هذا الخير ودل"(30).

– تجنب المفسر الاستطراد والاندفاع في أغراض ليست من مفادات تراكيب القرآن؛ فيجعل الآيات منافذ يخرج منها إلى أغراض دعائية أو مذهبية أو حزبية، حتى تصير الآيات القرآنية بمنزلة عناوين لمقالات صحفية.

– عدم اقتصار المفسر على تبيين المعنى فقط، بحيث يصير التفسير بمنزلة ترجمة كلام من لغة إلى أخرى.

بل يتعداه إلى بيان المقاصد الأصلية للقرآن الكريم في سوره وآياته، وبيان وجوه إعجازه.

– رأيه المعتدل والوسطي في التفسير العلمي في إطار المحافظة على المقاصد

القرآنية؛ ومناقشته للشاطبي في رأيه[31].

– المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها ما لم يمنع من ذلك مانع من دلالة لغوية أو عرفية أو شرعية[32]. وهذه أهم قواعد التفسير عند ابن عاشور شرحها وفصلها ودلل عليها في المقدمة التاسعة من مقدمات تفسيره وذكر شروطها وصورها الكثيرة. وبين أنه سار على هذا القانون في تفسيره التحرير والتنوير.

خاتمة

وبعد عرضي لأهم ملامح التجديد في علم التفسير عند الإمام ابن عاشور أخلص إلى أهم النتائج:

– يرى ابن عاشور أن أسباب تأخر علم التفسير يعود إلى جملة أمور طغت وظهرت عليه منها:

– الولوع بالتوقيف والنقل.

– الضعف في اللغة والبلاغة، وقليل المبرز فيهما.

– الضعف في علوم يظنها المفسرون بعيدة عن القرآن، وهي ضرورية لمعرفة عظمته العمرانية، مثل: التاريخ، وفلسفة العمران، والأديان، والسياسة.

– خروج بعض التفاسير عن ذكر العلوم التي لها تعلق بفهم الآية، إلى مسائل من علوم متنوعة ضعيفة المناسبة بموضوع تفسير تلك الآية.

وقد اقترح جملة من الحلول لإصلاح علم التفسير والنهوض به منها:

– تفسير التراكيب القرآنية جريا على تبيين معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية.

- نقل ما يؤثر عن أئمة المفسرين من السلف والخلف مما ليس مجافيا للأصول ولا للعربية.

- تجنب المفسر الاستطراد والاندفاع في أغراض ليست من مفادات تراكيب القرآن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع:

1. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودية، ط1، 1426 هـ.

2. أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، دار سحنون/دار السلام، تونس/مصر، 1427ه/2006م، ط1.

3. البشر في نقد المقدمات العشر، عثمان بن منصور، الشركة التونسية لفنون الرسم،1372ه.

4. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية 1984م.

5. تعريفات العلوم، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، دار الإمام ابن عرفة، تونس، دت، دط، ت:نزار حمادي.

6. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت:عبد الرزاق المهدي.

7. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، قدّم له وعلق عليه: نعيم حسن زرزور، ط1، 1408هـ/ 1988م.

8. مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر ميساوي،

9. موقع إضاءات، ريادية التجديد الإصلاحي لدى الطاهر ابن عاشور، محمد السيد أبو ريان، 2018/3/8.

الحواشي والإحالات

(1) _ موقع إضاءات، ريادية التجديد الإصلاحي لدى الطاهر ابن عاشور، محمد السيد أبو ريان، 2018/3/8.

(2) _ أليس الصبح بقريب ، ص190، دار سحنون/دار السلام، تونس/مصر، 1427هـ/2006م، ط1.

(3) _ تعريفات العلوم، ص12، دار الإمام ابن عرفة، تونس، دت، دط، ت:نزار حمادي.

(4) _ أليس الصبح بقريب، ص160.

(5) _ التحرير والتنوير، 11/1.

(6) _ التحرير والتنوير، 42/1.

(7) _ المرجع نفسه، 415/7.

(8) _ المرجع نفسه، 139/1/8_140.

(9) _ المرجع نفسه، 12/28.

(10).المرجع السابق، 1/ 12.

(11).أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص 160.

(12) _ مقاصد الشريعة الإسلامية، قسم الدراسة، الطاهر ميساوي، ص64.

(13).التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/ 12.

(14) _ مقاصد الشريعة الإسلامية، قسم الدراسة، الطاهر ميساوي، ص64.

(15).المرجع نفسه، 1/ 12.

(16) _ مقاصد الشريعة الإسلامية، قسم الدراسة، الطاهر ميساوي، ص64.

(17).أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص 184.

(18) _ مقاصد الشريعة الإسلامية، قسم الدراسة، الطاهر الميساوي، ص64_65.

(19).التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1/ 13.

(20) _ مقاصد الشريعة الإسلامية، قسم الدراسة، الطاهر الميساوي، ص65.

(21).المرجع نفسه، 1/ 13.

(22). الفَرَا: الحمار الوحشي وجمعه فِراء، قالوا: وأصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدهم أرنباً، والآخر ظبياً، والثالث حماراً، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه: فقال الثالث: كل الصيد في جوف الفَرَا؛ أي هذا الذي رزقت وظفرتُ به يشتمل على ما عندكما وذلك أنه ليس ممّا يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي..." انظر:مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، دار الكتب العلمية. بيروت.لبنان، قدّم له وعلق عليه: نعيم حسن زرزور، ط1، 1408هـ/ 1988م.

(23). البشر في نقد المقدمات العشر، عثمان بن منصور، ص 10.

(24). التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن رزق الطرهوني، 2/ 765.

(25) _ أليس الصبح بقريب، ص161_162.

(26) _ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1/42_43، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت:عبد الرزاق المهدي.

(27) _ التحرير والتنوير، 1/38.

(28) _ التحرير والتنوير، 1/42.

(29) _ المرجع نفسه، 1/43_45.

(30) _ المرجع نفسه، 1/7.

(31) _ التحرير والتنوير، 1/40_ 45.

(32) _ المرجع نفسه، 1/93_98.

****

The efforts of Imam Muhammad Al-Tahir Ibn Achour in renewing the science of interpretation and its purposes

Mohammed Salah Ghrissi

Department of Islamic civilization

Institute of Islamic Sciences - El-Oued University

gmedsalah@gmail.com

Abstract:

This article comes to clarify Imam Ibn Achour's innovative view of issues in the fundamentals of interpretation and the sciences of the Qur'an, including his reluctance to make tafsir a science, issues of the scientific interpretation of the Holy Qur'an, and his statement of the breadth of meanings in the Holy Qur'an, then we touched upon the reasons for the delay in the science of exegesis with Imam Ibn Achour and the reforms he proposed To advance interpretation and achieve its goals and objectives.

Key words:

Efforts; Interpretation; Ibn Achour; Renewal; The purposes.